

بسم الله الرحمن الرحيم

سلسلة دعوة إلى التفكير قبل التفجير

(٣ أ) هل سمعت بالجيش الذي يغزو الكعبة؟

الشيخ/ خالد بن عثمان السبت

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، أما بعد:

فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

أواصل الحديث بهذا الموضوع، فأقول: بعد أن ذكرنا في الليلة الماضية سؤالاً يتصل بحديث حاطب -رضي الله تعالى عنه-، وحاصله أنه وقع منه نوع موالاة للمشركين، وموادة بنص الآية، وكان فعله ذلك هو سبب نزولها، **{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ}** [المتحنة:١]، فهذا الذي صدر عن حاطب -رضي الله عنه- بصرف النظر عن الملابسات مما قام في قلبه، أو من دواعيه لهذا الفعل نخرج معه بنتيجة وهي أنه ما كل نوع من الموالاة يكون كفوفاً مُخرجاً من الملة، فالموالاة أنواع موالاة المشركين، ثم ما يكون منها من الكفر المُخرج من الملة لا بد فيه من تحقق الشروط وانتفاء الموانع، فمن الذي يستطيع أن يُقدر النوع المخرج من الملة وغير المخرج من الملة؟، وما كان من قبيل المخرج من الملة هل تحققت فيه الشروط وانتفت الموانع من هذا أو ذاك أو لم تتحقق؟ ومن الذي خول الإنسان أن يُنقر عن قلوب الناس، ويبحث وراءهم لينظر هل تحققت الشروط فيهم وانتفت الموانع من أجل أن يكفرهم؟!

هذا لم يُعهد بعمل علماء المسلمين فضلاً عن عامتهم، ثم أيضاً إذا تبين له ذلك بحيث تحققت الشروط وانتفت الموانع، وكان من العلماء الراسخين فمن الذي خوله ليقوم بتنفيذ حكم الردة في هذا المُعين، مع أن هذه الأحكام من الردة أو الحدود قد تُترك لمصلحة راجحة، أو لدفع مفسدة غالبية، فالنبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقتل واحداً من المنافقين مع أنهم قالوا ما قالوا **{لَئِن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ}** [المنافقون:٨]، وقال ابن أبي أيضاً: " والله ما مثلنا وهؤلاء إلا كما قال الأول: سَمُنْ كَلْبَكَ يَا كَلْبُكَ"^(١)، وقال: "إن رجعنا إلى المدينة ليُخرجن الأعز -يعني نفسه- منها الأذل -يعني النبي -صلى الله عليه وسلم-، هذا كفر، وكانت له مقالات مشابهة، وما قتله النبي -صلى الله عليه وسلم-، بل حينما مات وجاء ابنه عبد الله إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- تعرفون أنه أعطاه قميصه ليُكفن به، وهو الذي قذف عرضه -عليه الصلاة والسلام-، ثم إنه -صلى الله عليه وسلم- أراد أن يُصلي عليه فنهاه عمر -رضي الله تعالى عنه- حتى نزل قول الله -عز وجل-: **{وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ}** [التوبة:٨٤]، هذا رجل صدر منه من الكفر ما ترون، ومع ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يقتله وهو الإمام الأعظم -عليه الصلاة والسلام- دفعاً لمفسدة، **(لئلا يقول**

الناس: **إن محمداً يقتل أصحابه**)^(٢)، هذه مفسدة، فمن الذي يُقدر أن هذا يكون ردة أو ليس بردة، وأن هذه الشروط تحققت أو لم تتحقق في زيد وعمرو؟، ومن الذي طالبه بأن يبحث لينظر ويُفتش ويُقب ويشق عن قلوب الناس؛ ليعرف هل تحققت الشروط وانتفتت الموانع أو لا؟، ثم بعد ذلك من الذي خوله بتنفيذ الحكم المبني على ذلك؟، المشهور عند أهل العلم أن النبي -صلى الله عليه وسلم- لم يُقم حد القذف على عبد الله بن أبي لما قذف عائشة -رضي الله عنها-؛ لدفع مفسدة أعظم، كان يعلم -صلى الله عليه وسلم- أن آناً ستورم لجلده وإقامة الحد عليه، فتركه، فهذا باب واسع وأصل عظيم من أصول الشريعة وهي أنها جاءت بتحقيق المصالح ودفع المفاصد، فمن الذي يستطيع أن يقدر المصالح الشرعية والمفاصد؟ من الذي يستطيع إذا كان كل أحد يفعل ما يحلو له، وما يروق له مع حداثة السن وقلة العلم، وقلة الورع، وضعف العقل، وكما ترون أنواع الفساد العام والخاص الذي يترتب على هذه الأعمال العظام والجرائم الكبار.

نعود إلى سؤال آخر نوجهه إلى هذا الشاب لعله أن يُفِيَق، وأن يتبصر وأن يستدرك قبل فوات الأوان، وذلك ما جاء في حديث عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: **((يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض))**، يعني: الأرض المُنبسطة الواسعة، **((يُخسف بأولهم وآخرهم، قالت: قلت: يا رسول الله، كيف يُخسف بأولهم وآخرهم، وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم؟))**، أسواقهم يعني أهل السوق منهم الذين يأتون معهم من التجار ونحو ذلك، قال: **((يُخسف بأولهم وآخرهم ثم يُبعثون على نياتهم))**^(٣)، متفق عليه، وفي أعراف الناس اليوم أن هؤلاء الذين يأتون مع الجيوش من التجار ونحوهم أو التجارات أو الأموال أن هذا هو دعم للجيش، فالجيش لا يستطيع أن يتحرك من غير هذه المؤن، فهم معهم، وهذا الجيش جاء يغزو الكعبة فعمهم الخسف، **((يُخسف بأولهم وآخرهم))**، وفي غير الصحيحين في بعض رواياته قال: **((يهلكون مهلكاً واحداً ويصدرون مصادر شتى، يبعثهم الله على نياتهم))**^(٤)، هذا اللفظ في حديث عائشة، وفي حديث أم سلمة: **((يُبعثون على ما في أنفسهم))**^(٥)، يعني: على نياتهم، لاحظ: جاء هذا الجيش يغزو الكعبة فأخبر النبي -صلى الله عليه وسلم- أنهم يُبعثون على نياتهم، بمعنى أنهم في العاقبة لا يُحكم بخلودهم في النار باعتبار أنهم يتقوتون في أحوالهم، فمنهم من يكون كافراً، ومنهم من ليس كذلك؛ لأنه قال: **((يُبعثون على نياتهم))**، يعني أن منهم من قد يكون ناجياً، ولاحظ أنه في هذا الجيش، جاء يغزو ماذا؟ جاء يغزو الكعبة، من الذي يستطيع أن يقدر في مثل هذه المسائل هذا يكفر وهذا لا يكفر؟، من الذي يستطيع بحسب نياتهم، بحسب ما قام في

٢ - أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: **لِيَقُولُوا لِنَنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ** [المنافقون: ٨]، برقم (٤٩٠٧)، ومسلم، كتاب البر والصلة والآداب، باب نصر الأخ ظالماً أو مظلوماً، برقم (٢٥٨٤)، وتفسير الطبري (٢٢/٦٦٤).

٣ - أخرجه البخاري، كتاب البيوع، باب ما ذكر في الأسواق، برقم (٢١١٨)، ومسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، برقم (٢٨٨٤).

٤ - أخرجه مسلم، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب الخسف بالجيش الذي يؤم البيت، برقم (٢٨٨٤).

٥ - أخرجه الترمذي عن صافية، أبواب الفتن عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-، باب ما جاء في الخسف، برقم (٢١٨٤)، وأحمد في المسند، برقم (٢٦٨٥٩)، وقال محققوه: "حديث صحيح".

قلوبهم؟، ومن الذي يعلم ما في النيات؟ هو الله وحده، ولهذا سيأتي قول النبي -صلى الله عليه وسلم- بأنه لم يؤمر بأن يشق عن قلوب الناس، وشيخ الإسلام -رحمه الله- يقول: "وقد يقاتلون -يعني الكفار يقاتلون المسلمين- وفيهم مؤمن يكتُم إيمانه يشهد القتال معهم، ولا يمكنه الهجرة وهو مُكره على القتال ويُبعث يوم القيامة على نيته"^(٦).

لاحظ: في جيش الكفار يقاتلون المسلمين، وفيهم مؤمن يكتُم إيمانه مُكره فلا يكون هالكاً يوم القيامة، بمعنى أنه لم يكفر بهذا الفعل، هذا كلام شيخ الإسلام -رحمه الله-، من الذي يُقدر هذه الأمور؟ إطلاق الأحكام هكذا إطلاقاً عاماً مُجماً لأدنى شُبْهة هذا أمر لا يسوغ بحال من الأحوال، بل إن شيخ الإسلام -رحمه الله- حينما تكلم عن أهل قبرص، وكانت في ذلك الوقت بيد النصارى، فتحها المسلمون في زمن عثمان -رضي الله تعالى عنه- ثم استردها النصارى، فكان قد سُئِلَ عن مسلمين في جيش النصارى، في جيش أهل قبرص، فشيخ الإسلام جعلهم على أصناف، لم يكفرهم جميعاً، وكانت بينهم وبين المسلمين حروب، جعلهم على أصناف لم يُكفر الجميع، فمنهم طائفة كفار، ومنهم منافقون، ومنهم من ليسوا كذلك، لكنهم على خطر عظيم بلا شك، ليس هذا الكلام للتهوين من الوقوع في هذه الأعمال من الموالاة للمشركين، وإنما الكلام هنا في موضوع آخر، الكلام في التبصر والتفكر والتعقل قبل أن يرد الإنسان موارد الهلكة، قبل أن يتخوض الإنسان في الدماء، ثم بعد ذلك قد يخسر دنياه وآخرته، يخوض في الدماء مستحلاً لها، متقرباً إلى الله -عز وجل- بقتل أهل الإيمان.

أسأل الله -عز وجل- أن تكون هذه الأسئلة سبباً لفتح قلوب وبصائر، والله أعلم.

وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه.